

ثم تعود الموجة

مجموعة قصص بقلم ديزي الامير

دار الاداب - بيروت - ١٩٦٩ - ١٥٠ صفحة

براءة الاطفال وبساطتهم ، باخلاص الاصدقاء الطيبين وصراحتهم ،
تنشر ديزي الامير حبات قلبها الكبير على صفحات مجموعتها القصصية
الثانية (ثم تعود الموجة) . تتحدث اليك وكأنها تفتح مكنون صدرها
لصديق حميم تلتقي وايه على روبة صغيرة نائية ، في ذرى جبال لبنان
تظلم شجرة ارض مترامية الاغصان تؤرجحها انسام كانون ، وناسر اعينها
شمس يفرق قرصها الملتهب في امواج البحر الوادع المنبسط امامها في
روعة وجلال . تتحدث اليك وهي شاردة اللب ، مأخوذة الحواس ، حزينة
النظرات ، موزعة العواطف بين ماضٍ مثقل بالذكريات ، وحاضر يزخر
بالآهات ، ومستقبل مجهول النهايات . وعندما تهوي الشمس في اعماق
البحر ، وتزحف غيوم داكنة لتعجب ما تبقى من جراح الشمس في افق
السماء الرحب ، تضرب ديزي في حديثها ، وكأنها تخشى هبوط
الظلام او تخاف ما يخبئه لها الليل من احلام .

تتحدث ديزي فتنساب عباراتها كموجة عطر ، وتتبرعم كلماتها
كباقة زهر ، غير ان كل حكاية من مجموعتها تترك في القلب لوعة ،
وتخلف في الحلق قصة ، وكأنك تقرأ احدي قصائد (عاشقة الليل ١) ،
فتشعر بفداحة ماتمانية المرأة في علنا العربي : فهي مازالت تخبىء
في حنايا صدرها فؤادا جريحا ، وتدفن في مأقي عينها طوحا
لم يبلغ بعد مداه ، وليست غلالة الحزن التي تشبح بها قصص الكاتبة
من اختيارها ، بل هي نتيجة نفسية حتمية لطبيعة حياتها الخاصة
وللواقع الذي تعيشه بنات جنسها . فقد تأثرت - وهي الادبية المرهفة
الحس - لفقد امها ، واضطرتها ظروف الدراسة والعمل الدبلوماسي
الي ان تنأى عن (البلد البعيد الذي تحب) ٢ ، حتى كاد يدبها الحنين
اليه ، فاخذت تبكي بصمت ، وراحت تشكو بكرباء . فتسرب شيء
من هذا الحنين وتلك الشكوى الي نتاجها الادبي .

ومع ان غالبية قصص ديزي الامير تنسجم مع الخط العام الذي
تنتهجه القصة العراقية من حيث كونها ادبا ملتزما هادفا تضي بالاغراض
الاجتماعية والسياسية وتكرس نفسها للقيام بالهمة التي حدد معالمها
ورسخ قواعدها بوادها الاوائل وفي مقدمتهم محمود احمد السيد
في تهيمده لمجموعته القصصية (في ساع من الزمن) ٣ فان قصص
اديبتنا تختلف في نقطتين رئيسيتين هما :

اولا : بينما يهتم معظم القصص العراقي بتصوير حياة الطبقة
الفقيرة تصويرا يهز المشاعر ، ويشير العطف والرثاء ، ويشهد الهمم
للاصلاح ، وبينما يزخر هذا القصص بالشخصيات البائسة كالفلاح
الذي يزرع تحت اغلال من الفقر والجهل والمرض ، وكالعامل العاطل
عن العمل واطفاله يتضورون جوعا ، وامراته على وشك ان تسرق
ب (مولود اخر) ٤ ، نجد ان معظم قصص ديزي الامير تتحدث عن فتاة

١ - (عاشقة الليل) ديوان شعر لنازك الملائكة نشر لأول مرة
عام ١٩٤٨ م .

٢ - (البلد البعيد الذي تحب) المجموعة القصصية الاولى
لديزي الامير .

٣ - للوقوف على مميزات القصة العراقية يراجع كتاب (محمود
احمد السيد) للدكتور علي جواد الطاهر (دار الاداب - بيروت ، ١٩٦٩) .

٤ - (مولود اخر) مجموعة قصصية للكاتب غائب طعمه فرمان
المنى بحياة الطبقة الفقيرة وتسجيل الامها ..

من الطبقة الوسطى المترفة هي الكاتبة نفسها . فلا تكاد تخلو قصة
من النقص الخمس عشرة التي تضمها المجموعة موضوع البحث من
القصر والخدمة والهاتف والمخازن الكبيرة والفنادق الغالية والمطاعم
الفاخرة والسيارة والسائق الخاص وغيرها من مظاهر الترف والنعمة،
وحتى عندما تحدثنا عن ذلك الرجل « العاطل عن العمل منذ حوالي
سنة » في قصة (سنة سعيدة) نجد بانه يمتلك هاتفا فسي بيته ،
ويذهب « الي سهرة السنة الجديدة يلهو ويعبث ويمرح » !! ان اشخاص
ديزي ليسوا من (هؤلاء الناس) ٥ ، الذين تقص بهم الاحياء الشعبية
الفقيرة ، ولا من اولئك القرويين الذين هجروا قراهم ليبتس بهم
(غضب المدينة) ٦ وتنزل عليهم لمنتهى .

ثانيا : في معالجتها للقضايا السياسية والمسائل الوطنية تتميز
عن اكرية القصاصين العراقيين بالاسلوب المباشر الصريح وكأنها تكتب
مقالا افتتاحيا في صحيفة يومية سياسة ، ولا يبرزها في ذلك الا القاص
الدكتور شاكر خصباك ٧ . فاولى القصص في (ثم تعود الموجة) هي
(كبش الغداة) التي هي محاولة لتفسير العدوان الصهيوني على الامة
العربية في حزيران ١٩٦٧ م ، وتحديد مراميه . ونجاح القصة
وتأثيرها العميق في القارئ العربي لا يدع مجالا للشك في ان ديزي قد
كتبتها في احدي ليالي حزيران وقد فرقت المدينة الغاضبة في التعتيم
وهزتها صفارات الانذار تبعث الحقد والحماص في القلوب .. وكذلك
نجد النقد الاجتماعي والسياسي الصريح الجريء في القصة الاخيرة
الموسومة ب (سنة طويلة كاملة) .

تقرأ ماكتبته ديزي فتحنس بان البراع قد تحول بين اناملها الرقيقة
الي ازميل فنان ، وانها انما نتجت بناء قصصها نحتا بديا ، وتصقل
عباراتها صقلا دقيقا كما لو كانت تضع اللمسات الاخيرة على احد
تمائيلها المدهشة ٨ ، وتشعر بانها تختار كلماتها كما تختار مادة تمائيلها
من الطين الطري المطواع الذي يتصلب ويتحجر بعد حين ، في محاولة
منها لتحقيق « السهل الممتنع » حلم الكثير من الادباء . وقصة (عزيزة)
تثير الإعجاب لما تتميز به من تكوين مبتكر وبناء قصصي فريد ، فالادبية
تسرد لنا - من خلال استراقها السمع في فترات متقطعة لفتاة تتحدث
بالهاتف في مخزن كبير - مأساة تلك الفتاة التي هجرها حبيبها مخلفا
دمعة في عينها ، وحسرة في قلبها ، وذلا في كيانها ..

وفي (قصة اندلسية) تتجلى اصالة الكاتبة وقدرتها على الخلق
الادبي . فقد نجحت بشكل يدعو الي الفخر في مزج العزة القومية
بالعاطفة الرومانسية كما تمتزج زقزقة العصافير الفرحة بخريسر
الجداول الجبلية ، وكأنها تعزف لحنا عربيا على الات موسيقية غربية
تردد صدى انغامه خمائل وارقة الظلال ، واشجار مورقة الاغصان ،
وتطرب له طبيعة موقنة ، وربيع مشرق . لقد قام معهد الدراسات
العربية في مدريد بترجمة هذه القصة - مع عدد اخر من قصص
ديزي - الي الاسبانية ، وحسنا فعل . وليست الاسبانية هي اللغة
المالية الوحيدة التي ترجمت لها قصص ديزي فقد ترجم المستشرق
الفرنسي ميشيل بارنو بعض قصصها الي الفرنسية ، كما اقنوم
انا بالاشتراك مع المستشرق الاميركي وليم فريزر بترجمة بعض قصصها
الي الانجليزية ستنتشر ضمن مجموعة من القصص العراقي في الولايات
المتحدة الامريكية .

وتمتاز ديزي الامير بقابلية ملحوظة في نقل انتباه القارئ من
حدث لآخر ، وتوجيه تعاطفه من شخص لثان في القصة الواحدة بل

٥ - (هؤلاء الناس) مجموعة قصصية لجعفر الخليلي ، احد رواد
القصة العراقية ومن سجوا الكثير من الحكايات الشعبية .

٦ - (غضب المدينة) مجموعة قصصية لمهدي عيسى الصقر .

٧ - من قصصه السياسي (حكايات من بلدتنا) مجموعة قصصية
و (الحقد الاسود) قصة طويلة ..

٨ - ديزي الامير تحمل دبلوما في فن النحت والرسم ولها تمائيل
ناجحة .

أعيدي كل ما أطلقت من سفن
محملة بما وسع الخيال الفص من شمس ومن قمر
ولم يرجعن من سفر .

تبدأ القصيدة عند حسب من لفظة .. من أنه ما .. من نقطة
زيت تشتمل في أطراف حقول الذكريات ومخادع الصور والإحليل
والملاحظات التلقائية فتشتعل الذكري وتنب النار في حقل أثر حقل من
الصورة (١) إلى الصورة (٢) في الطرف الآخر من جدار الواقع . ان
الشاعر يلقي بنفسه في أثره الفني بأدراك فد يصل الى درجة فكرية

واضحة المعالم . فحين تشدك الصورة الاولى في القصيدة الى جوها
المتفرد يجرك حسب بروعة لا أثر فيها للاهتمام او التقديرية الى صورة
جديدة لا تماثل سابقتها من حيث الابعاد التي تشرب اليها ولا حتى من
حيث وضعية الالفاظ وتزاوجها وتلاحمها في آهَاب صورة متفردة تربطها
خيوط شمس بالتي قبلها وبعدها . وتنتهي القصيدة ذات الصور
المستقلة ذات الذاتية المستقرة في آهَاب الالفاظ بمناق الاوائل
بالاواخر . والفكر طير يمر على حشد شمس ملونة بأصواتها اثرة
غائصة في ريش العواطف الزاهي . ان حسب يقدم الفكرة المرة للقارئ
بكأس من العسل . وحينما تتحول الفكرة الى عاطفة وتنجسد العاطفة
في لفظة يبدأ حسب بكتابة القصيدة . انه يهدم الالفاظ الجدارية التي
شابت طويلا في بطون الملاحم وقصائد التراث .. الالفاظ التي شابت
فقدت القرفصاء ازاء موافد ليس فيها سوى رماد اجواء المكرورة .

حسب يمسك بتلابيب اللفظة العجوز ويجبرها بقدرة شاعر على تناول
كاس الشباب (لاحظ قصيدة الظل) . ان الالفاظ هي ذات الالفاظ
المعروفة المكرورة . ولكنها عند حسب تقترن ببعضها لتبعث صورة لم
نحلم بها من قبل . ان هذا الحشد المهاجر من الالفاظ الاعتيادية التي
بيادنا من الصور الجديدة التي تستجم أجنحتها في بخيرات الإبداع
المرامية في ذهن الشاعر وأحاسيسه . ان اهتمام حسب الفني يتوزع
في القصيدة على صعيدين : احدهما يتعلق بالصورة وتناميها حتى تبدو
الصورة التي تليها وكأنها مخاض الاولى . وتانيهما يرتبط بالفكسرة
الاساسية للقصيدة محاولا ان يكبح جماح الحصان النافر النازع الى
الهجرة مع ريخ الصور المترامية على آفاق الحدث الذي حرك أوتار
الزمن في ذهنه . أما مرتكز الصورة لدى حسب فهو الكلمة وليس
الفكرة . ان الفكرة من معطيات الكلمة تماما كما تكون الحرارة من معطيات
الشمس . والدفء من توهج النار . ان الكلمة التي تهاجر باجنحة
الابداع من أوطانها القديمة .. من اعشاشها البالية .. من رصفها الملء
تهاجر لتولد في اراض جديدة واعشاش جديدة ووجوها واجنحة
جديدة . القمر .. ليلة مقمرة .. أقرم الظلام .. هلت ليالي القمر .
ان قمر هذه مقيدة في سجون التكرار في المعاني ، في ترابطها مع
كلمات اخرى كصفة محدودة مرتبطة بكلمة الليل . ان قمر واقمرولياي
القمر تعود شابة ذات أجنحة : أفمرت البحيرة وأقرم القلب ، وأقرم
الريخ (لاحظ المقطع الثامن من قصيدة الراقصة والدرويش المنشودة
في مجلة الآداب في عددها السادس ١٩٦٦) . ان الالفاظ العربية بما
تملك من ثراء وخصب تتحول في أحيان كثيرة الى مجرد الالفاظ جامدة
يموت فيها الجس . والقدرة التي يمتلكها الشاعر المجيد كقيلة بان تفجر
كوامن الحياة في تلك القواقع . ولا أشك في ان لدى شاعرنا حسب
هذه القدرة التي تبرزها مجموعة شعره (نخلة الله) .

نستطيع وبقليل من الملاحظة ان نوزع شعر حسب حسب على ثلاث فترات
زمنية او قل ثلاث مراحل : الاولى : مرحلة الطفولة والقربة التي ولد
فيها وقد ابتعثها من غفوة الصميم ضجيج الحضارة في البلد الذي درس
فيه . وهذا القسم يمثل في قصائد : نخلة الله واللقاء العائدة والنهر
والظل واختتمت بالعودة من جزيرة الملح . وفي هذه القصائد تبرز
صورة الريف العراقي دامعة العيون وكأنها تدعوه الى طفولة الاشياء
وبساطة الحياة . ان استعارات الحنين والشوق وانطواء بساطة
الاشياء على كنوز المرح وتوهج الحياة .. الصور المشعبة المشابهة .

في الصفحة الواحدة دون ان تخر القصة وحدة البناء او عنصر
التشويق والامتع ، مثلها في ذلك مثل مدير الانارة المسرحية الذي
يوجه الضوء ذا اللون المناسب على الشخص المناسب في المكان المناسب
محققا بذلك نجاح العمل الدرامي وزيادة اندماج المشاهد فيه .

وخير مثل على ذلك قصة (الغابة) حيث يحاول كلب صغير
هزيل مداعبة طفلة صغيرة فيربعها وتأخذ بالصراخ والاستغاثة ، فيهرع
والداها لنجدتها وهما يتذمران من وجود الكلب في حديقة المطعم ، فيتقدم
النادل لاجراج الكلب دفعا بقدمه ولكنه يتلقى بسبب ذلك صفعه من
فتاة أجنبية مسترجلة يحمر لها وجهه وتحت عيناه ولكنه يواصل
سيره المتعثر تحت اكوام الصواني واصناف المأكولات . فطفنا توزع
في هذه القصة بين الكلب الصغير ، والطفلة البريئة ، والنادل المسكين .

عندما صدرت مجموعة ديزي الامير الاولى (البلد البعيد الذي
تحب) لمسنا بعض الجودة فيما قرأنا ، وتوسمنا كل الخير فيما
سنتكتب ، ودعونا لها بالمواطبة على الانتاج الادبي . وعندما خرجت
مجموعتها الثانية تأكدنا من قدرتها وايقنا بانها فاصلة ولدت لتعيش بل
لتوضع - اذا ماواصلت الكتابة الخلافة وتزدادت تافؤالا - في مصاف
الادبيات الارباب السواني لايتجاوز عددهن اصابع اليدين فسي
شرقنا العربي .

جامعة الرياض

عبي القاسمي



نخلة الله

ديوان لحسب الشيخ جعفر

بداءة كان حسب الشيخ جعفر في ذهني سؤالاً ظل غامضاً ومحيراً
ومثيراً فترة تطاولت بزمنها او هكذا خيل لي . فقد بزغ في عالم قراءاتي
المتشابهة كنجم مضيء . وما شائي معه الا كشأن واحد (لقية) فسي
طريق مرتب . او كشأن حافر انجس بين يديه الماء في أرض جلمد .
فكانت (نخلة الله) (١) بظلمها الممتد تنفرس في أكباد الصخر والذرى
والنهر شامخة متطاوله بكبريائها وعرافتها وأصالتها . كان عالماً متشابهاً
بالكروم والازهار والانوار والشموس والنجوم والجدوع ، عالماً هو عالماً
وليس عالماً لكنه على أية حال عالم الشاعر حسب الشيخ جعفر .

ان هذا الشاعر حصيلة جيدة ومنطورة في شعرنا العراقي الحديث
لكنه مشكلة المشاكل بالنسبة لدارس يريد ان يلم بموضوعه ؟ فهو
يقول (لا) و (نعم) لذات الشيء وفي ذات الزمن . انه القانسع
اللاقنع ، الضاحك المتجهم ، المتطوق الكئيب . انه كذلك الطائر الذي
(حط على الفصن وانحدر اقل من لمحة البصر) . وبلمحة بصر يرضى
ولا يرضى . انه صورة لواقع التناقض الحياتي بشكل لم يسبق لسه
مثيل في الشعر العربي وان وجد الكثيرون على شاكلته من الشعراء
الفرنسيين في العصور الرومانسية . ازاء حسب تكون كآك ازاء
قصيدة مطلعها سؤال ونهايتها سؤال وبين السؤالين بحار من الهم
والمرح والامال والنجوم الفارقة في سماوات لا حد لافاقها . انك امام
ظاهرة متجسدة في آهَاب مشاكس اصيل . مع هذا الشاعر ستسكون
رحلتنا في ظلال (نخلة الله) ولعلنا نرسو على الشواطئ التسي
خاطبها يوماً :

أعيدي ، يا شواطئ ، طعم تمر بات يشرب ظل اسحار .

أعيدي كل ما أطلقت من سفن

وينهب ماتبقى في عيون الشط من وسن .

(١) قصيدته التي اسمى الديوان باسمها .

حسب ليست وليدة الشعور بالابتعاد عن الوطن كما قلت فقد يحس بوفاة غربته في وطنه وفي قريته التي ولد فيها بالذات . انها غربة المعاصرة التي تجعل الشاعر وجها لوجه وحيدا ازاء العالم الذي يحبه ويراه مغمورا بدخان المتاعب والموت . انظر قصيدة وقت للحب ووقت للتسول وقصيدة العودة من بحيرة الملح) . والى هذه القرية ينتمي الدفء الذي تشعه قصائد الشاعر ومن امداداتها ايضا هذا الالسق الخاص الذي يشدنا بالف خيط الى شعره .

طلال سالم الحديثي

الرمادي (العراق)



الزحام

مجموعة قصص ليوسف الشاروني

القصص في هذه المجموعة تسع بالمعنى الصحيح ، عدا ما قبل الاخيرة التي بعنوان « قصص في دقائق » وتشمل احد عشر مقطعا كسل مقطع هو عبارة عن خاطرة او اقصوصة صغيرة بما يقارب العشرين سطرا او اقل ك بعض افاصيص نشيخوف وكافكا . اما الاخيرة « يوم فسي الحريق » فيقول فيها المؤلف « قد لا تكون قصة لكنها من المؤكد ليست مقالة » ولذلك افسح لها المكان هنا بعد ان « ظلت تنزوي بين اورافه فرابة عشرين عاماً » . والمجموعة بعنوان « الزحام » وهي للقاص المصري المعروف يوسف الشاروني ، صدرت عن دار الاداب في بيروت . وللمؤلف مجموعات قصصية اخرى منها « العشاق الخمسة » و « رسالة امرأة » ترجم بعضها ك نماذج للقصة العربية المعاصرة ، الى لغات اجنبية . هذا بلاضافة الى دراسات له في الادب والحب والرواية وغيرها .

ومسرح هذه القصص ، في معظم الاحوال ، الاوتوبيس او القطار كان من داب كانبها التثقل فيهما على الدوام ، الامر الذي يتيح له التعرف الى شخصياته الشعبية عن كثب ، والتحدث اليها ، وسبر افكارها واسرارها ، فنصويرها بالتالي ذلك التصوير الدقيق البارز . ففي القطار ، وفي الاوتوبيس بصورة خاصة يكون الزحام على اشده . ولا عجب ان يشخصه المؤلف فيجمله حيناً « متخماً بالركاب لا يستطيع ان يزدرد اية زيادة ، وحيناً يفرز الاذرع والاقدام ليتمتع عندا اخر » . ومن هنا كان عنوان القصة الاولى « الزحام » الذي اطلق على المجموعة . غير ان هذا الزحام لا ينحصر وجوده في الاوتوبيس وحده حيث ينشبت الواقفون « بقصيب في اعلى السيارة كأنهم ذبائح بشرية معلقة مكدسة تقطر مرارة » (انما هو في كل مكان يتنقل اليه او

الخبز المغمس بالحليب والكرز والحندقوق واللقاقق وبيوت البردى والسعف واليقطين هي القالبة على اجواء هذه القصائد . وشعر هذه الرحلة ليس له ابعاد ولا تاويل غير الحنين الى الماضي ازاء غربة الحاضر . والمرحلة الثانية : مرحلة التهيؤ للعودة الى الوطن . ولعل قصيدة (العودة من جزيرة الملح) فيها تلميح للتهيؤ ، وفيها تشعسر بأسف ممض على ماض جديد تكون في عواصف القرية (آه على أيامنا الخضراء مرت في البحار) . وقد كان لهذه المرحلة اثر سنوضحه بايجاز .

والمرحلة الثالثة هي : مرحلة العودة وفيها تمثل قصائده جانبين: جانب الالتهاب في القضية الفلسطينية والتهاب في قضية الصراع ، الذي لف (العودة من جزيرة الملح) صراع مجهول المبعث يلسف القصيدة ويتسرب خلالها الحنين الى الوطن .. الى الاحبة .. النوارس التي تنمي البحار الفریق . ان هذا البحار الفریق في بحار الحنين ماعاد يعلم بما كان يحمل . وصور الريف تبدو منهكة في هذه القصيدة تشك في اصالتها .. هادئة الخطوات خافتة الرنين . انه الحنين اليتيم لذلك الجواله البحار . ذلك الدرويش المتربع على حصير البساطية والقناعة الفارق في عروش الدلال لم يعد يبكي براءة ليلاليه الخالية بقدر ما يبكي الحياة ككل بعد ان اصطدم بأرضية غربة لا حدود لها .

الغربة في شعره :

الغربة هذا الامر الجياش من الزمن والذي شور فيه دقائق الوجدان والاحاسيس وتفيض فيه ينابيع الذات . هذا الامد عاشه شاعرنا حسب حينما شد فلوعه للدراسة في بلاد الاتحاد السوفيتي . فكان ان عاش مرحلة شوق ونهف ارفدت شعره بنبوع خالد من ينابيع الحياة ذلك هو الحنين . لقد بدا حسب في هذه الفترة شاعرا يملك الفكرة والشكل بمستوى فيه من التفرد والقابلية للخلافة بوادر يلمسها القارئ لشعره بسهولة . ولقد كان الحنين يطفى على شعره بحيث يجور المضمون على الشكل فيجئح الى نثرية محببة كانت ظاهرة عامة في الشعر العربي في فترة الخمسينات وبداية الستينات . انها نثرية البياتي وبلند وسمدي وصلاح عبدالصبور لكن نثرية حسب محملة بامطار الحنين الى الوطن . متدفقة بشكل يضفي عليها روحا لاتصارعها روح السياب الصارخة في (غريب على الخليج) .

والسياب يهتم باللفظة من خلال تمسكه بمضمون قصيدته . كما ان ثمة تخطيطا مسبقا ل (غريب على الخليج) يحسه القارئ من العناية الفائقة بالكلمات والصور ونسج القصص القصيرة والولوج في مناهات الاسطورة . اما قصائد حسب فان مفتاحها البيت الاول الذي هو عنده تطويحة لروح نائرة في فراغ الامتلاء من الوحشة الصلدة يبدلته الشاعر فيشق جدرانه وينفذ بسهولة التي ينفذ بها ماء الموج الطافي على الضفاف الى الابداع اليابسة (انظر قصيدة فؤاد ماتسليه ابنة العنب) .

الحنين عند حسب تجسيد الاشياء الصغيرة واحياء لطراوة طفولة موهلة بأبعاد البراءة والمرح . انه يجلبك من الضجيج الى هدأة قرية تففو على حافة ليل الهور والنخيل ومن خلال الاستشراق الاستبطاني لهذه الاشياء والذكريات يفتح حسب هوة الدموع والحسرات . ويبقى شيء يجب ان اوضحه ذلك هو ان الغربة التي عاشها الشاعر ليست هي فقط غربته عن وطنه فهو يعيش غربة روحية تتجسد عنده بصدق . وهذه الغربة لا يمكن تبريرها سياسيا او اجتماعيا لانها ذات جذور اصيلة في نفسه . ان الموقف عند حسب لا يتكون من خلال مسار تاريخي او فلسفي مقنع . ان موقفه وليد لحظة شعورية مرتبطة بامور قد لا يستطيع الشاعر نفسه تحديدها ولكنه يحسها تماما كالضوء الذي لا يتجسد في الاشياء بقدر ما يتلألأ عبرها وخلالها . وهذا لا يعني انه ضرب من الوجد الصوفي يجتاح الشاعر في غمراته وانما هو واقع مرتبط بجذور تربوية عصفت بها ويلات الاخرين وهمومهم متشابكة في تفرد الشاعر وشعوره بالمواجهة اللامتكافئة ازاء نقل الحياة . غربة

زهرة من دم

مسرحية في ثلاثة فصول

تأليف الدكتور

سهيل ادريس

منشورات دار الكاتب العربي - القاهرة

دار الطليعة تقدم

● الماركسية والمسألة القومية

الياس مرقص

● المفهوم المادي للمسألة اليهودية

ابراهيم ليون

● لماذا منظمة الاشتراكيين اللبنانيين

قدم له : محسن ابراهيم

منظمة الاشتراكيين اللبنانيين

● مذكرات كامل الجادرجي

وتاريخ الحزب الوطني الديمقراطي

كامل الجادرجي

هذا هو

● طريق ١٤ تموز

دفاع ابراهيم كبه امام محكمة الثورة

ابراهيم كبه

● في التنظيم الثوري

طبعة جديدة موسعة

جوزيف ستالين - ليون تروتسكي - جورج لوكاش

● نظرة في تطور المجتمع اليمني

سلطان احمد عمر

● نضال البعث

الجزء الاول طبعة ثانية

● حول مسائل الانتقال

من الرأسمالية الى الاشتراكية

كيم ايل سونغ

● حول قيام التنظيم الشعبي

لثورة مايو السودانية

الدكتور يوسف محمد بشارة

● ستالين

سيرة سياسية

اسحق دويتشر

● الخليج العربي او الحدود الشرقية

للوطن العربي - الدكتور سيد نوفل

● سوسيولوجية ثورة

فرانتز فانون

● مسحوق الهمس

قصص يوسف ادريس

● صور على حائط المنفى

شعر خالد محيي الدين البرادعي

منشورات دار الطليعة للطباعة والنشر -

بيروت - ص.ب ١٨١٣

يحل فيه فتحي عبد الرسول ، المحصل في شركة النقل الداخلي . « وفي هذا المكان تتلاصق الغرف ، وفي الغرف تتلاصق اجساد الرجال واجساد النساء كلما جمعتهم عنمة الليل فيتوالدون كالارانب « فحتى ضوء القمر يخنق هنا تحت زحمة البيوت . طردوا القمر من المدينة . وفتحي عبد الرسول يخاف هذا الزحام ويتهيبه منذ اصطحبه والسده معه ، وكان طفلا بعد ، الى مولد سيدي احمد النوتي فانضم الى حلقة من حلقات الذكر يتزعمها ونسيه هناك . وكاد يفقده لو لم ينقذه يومها واحد من قريتهم . ولا غرابة ان يظل كابوس الزحمة يلاحقه ، بعد هذا الحادث ، او يلاحق شخص الكاتب بشخصيات قصصه ، كل قصصه تقريبا فيزحم هذا الزحام ويقحمه في كل قصة وكل عبارة وصورة ، وربما مجازاة للعنوان ايضا . وحتى زمان احداث قصصه يجعله في الصيف والقيظ بصورة خاصة لكي يستروح الزحام ويكون فعله اجدي « كان الجو حارا ، يقول في قصة « اللحم والسكين » وتكاتف الانفاس قد ضاعف من حرارة الجو حتى سال العرق على كثير من الوجوه ورائحة الزحمة البشرية تملأ الانوف .

اما المواضيع التي يتطرق اليها في المجموعة فمستقاة كلها ، على نوعها ، من بيئة وواقعه وهي تصوير لهما حي . فالقصة الاولى « الزحام » تروي سيرة فتى هجر الهواء والخلاء في القرية ليدخل الى زحمة المدينة حيث تتلاصق المنازل وتتلاحم الاجسام في غرفها الضيقة . فتقوده هذه الزحمة حتى الى مزاحمة والده ، طبعا بعد موته في فراش الزوجية ، ومن ثم تقوده الى بيت المجانين .

وفي قصة « لمحات من حياة موجود عبد الموجود » تنتحر زينب حين تكتشف عريسها موجود يعاشر امها مديحة في السر . فتنتاب العريس مايشبه حساب النفس العسير والعقاب اللذين انتابا راسكولنكوف في رواية « الجريمة والعقاب » لدوستوفسكي ، وهما من الجريمة افظع وارهب . ومثل ذلك ينزوي موجود وينطوي ويخشى الليل ويهم بتسليم نفسه لمحققه القديم . الا انه بعكس راسكولنكوف ، وازاحة لوفر الجريمة عن كاهله ، يفلسف خوفه ، يحو نفسه بالخوف ، يقضي على وجوده بعدم الوجود « انا خائف اذن انا غير موجود » .

وقصة « اللحم والسكين » مأساة اخرى لعائلة مسيحية . فهنا يكاد اخوان متحابان يقتتلان حول الارث الى ان يضع موت امهما الناجم عن خصومتها الدائمة حدا لعنادتهما في الليلة نفسها التي توارى فيه التراب . وفي قصة « نظرية في الجلدة الفاسدة » يتناول المؤلف بالنقد الساخر مدرسة القرية وعيادتها واطباءها والماء والكهرباء فيها وغيرها من الامور . والجلدة هنا « جلدة صغيرة في صنوبر بيتك . تهكر عليك طمأنينتك وتجعل من تلك المياه المرشحة المقيمة تهديدا لك » . هذا اذا فسدت الجلدة طبعا ، وحتى اذا لم تفسد فزوجة المتحدث تؤسّر الشرب من ماء النيل « الماء النقي للفسيل والاستحمام ، تقول ، اما ماء النيل فللشرب لانها بخيرها » وقصة « الحذاء » الذي رقع للمرة التاسعة يذكر بمعطف غوغول اكثر منه بحذاء الطنبوري ، ولكنها مكتوبة بأسلوب الشاروني الشيق مما يبعد عنها لطرافتها طابع التقليد .

هذه هي القصص الست اقوى ما في المجموعة والمؤلف يسردها وغيرها بأسلوب ساخر فكه . حتى قصصه المساوية المفضة يهيم على جوها روح الكنتة وتعج تضاعفها بالدعابة والمرح . دعابة ومرح يتزاحمان في العناوين والتشابه ، في التعبير والجمال ، في المفردات والاسماء وحتى في انتقاء المواضيع وطريقة السرد .

ان قصص يوسف الشاروني تقرأها بلذة ، تقرأها من اولها الى آخرها وانت تبسّم او تضحك . وهي الى الكلاسيكية اميل منها الى اي نوع اخر . ويبدو لي ان صاحبها من الذين تثقفوا على كبار كتاب القصة العالميين . غير ان الذي ينقصها في نظري هو التركيز ، ولملمة الحكمة ونز الاحداث لزا محكما يتناسب وقصر نفس القصة القصيرة .

توما الخوري